الفصل الثاني

المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية

قبل أن نتكلم عن أنواع التربية المطلوبة، لابد لنا من وقفة مع هذا الجيل الفاضل الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا على أعلى مستوى من الدين والخلق والإخلاص والتفاني في سبيل نصرة هذا الدين فاستحقوا بذلك رضا الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٥٨، ٢٥٩) «الشهادات»، ومسلم (١٦/ ٨٧، ٨٨) «الفضائل».

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٣١) وأحمد (٤/ ٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٨)، وقال الحافظ في «الفتح» وإسناده حسن (٧/ ٥).

بل جعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - الصحابة الكرام مفاتيح نصر وعز ورفعة للمسلمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولوا: فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ - فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[1].

يقول الأستاذ محمد قطب تحت عنوان «كيف تربت الجماعة الأولى»: الجماعة الأولى هي الجماعة التي رباها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه، ومنحها كل جهده ورعايته وتوجيهه، والتي اجتمعت لها عناصر التربية الإسلامية بكل تمامها على يد أعظم مرب في التاريخ.

وإنها هي المقصودة أولًا بقوله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله، وحوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد وتلك الآفاق: عظمات حربية، وعظمات سياسية وإدارية، وعظمات نفسية، وعظمات روحية، وعظمات من كل نوع، وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات.

وتلك الأمة هي التي وضعت أسس التاريخ الإسلامي المقبل كله، ورسخت قواعده في الأرض، بما قدمت من مبادئ وقيم ومُثل عليا مطبقة في عالم الواقع بصورة فريدة في التاريخ، صورة يلتقي فيها المثل والواقع، فلا تكاد تعرف من روعة العظمة المذهلة أيهما الواقع وأيهم المثال.

(١) رواه البخاري (٧/ ٢) «فضائل الصحابة»، ومسلم (١٦٣/ ٨٣، ٨٤) «فضائل الصحابة»، وأحمد (٣/ ٧).

ولقد كان ذلك هو الثمرة الجنية للتربية الإسلامية في أعلى صورها على يد أعظم مرب في التاريخ[١].

إلى أن قال:

ونحن مطالبون بدراسة وافية لتلك الجماعة الأولى، تفسر لنا أسرار عظمتها وبلوغها ما بلغت إليه من قمم شامخة في كل مجال خاضته[٢].

قال الدكتور السيد محمد نوح: «شهدت كتب التاريخ والسير أن الصحابة رضي الله عنهم ورضوا عنه عاشوا أعلى مراتب النصر والتأييد، ومن عجب أن هذا النصر وذلك التأييد ما كان في ميدان دون ميدان، وإنما كان في كل الميادين، وفي كل الأوقات.

لقد عاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع النفس الأمارة بالسوء فألجموها بلجام الاستقامة والتقوى، وحملوها على التوبة والإنابة إلى الله إن هي تمردت على هذا اللجام.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع العدو في أرض المعركة، بحيث تمت لهم الغلبة على هذا العدو في أقصر وقت، وبأقل التكاليف.

وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع شيطان الجن القاعد لهم بكل طريق، والمتربص بهم الدوائر، فلم يسمعوا لوساوسه وإغراءاته، ولم يعبئوا بكيده، وعاشوا هذا النصر وذلك التأييد مع الدنيا ببريقها وزخارفها وزهرتها، فلم تفتنهم، ولم تشغلهم لحظة عن ربهم، وهكذا كان النصر حليفهم، وكان التأييد ديدنهم أينما حَلُّوا وكيفما حَلُّوا.

وما من شك من أن الناصر والمؤيد لهؤلاء الأصحاب في كل وقت وفي كل ميدان إنما هو الله الذي بيده مقاليد السموات والأرض، والذي اذا قضى أمرًا يقول له كن فيكون.

---

(١) «منهج التربية الإسلامية» (٢/ ١٥) ط. دار الشروق.

(٢) «منهج التربية الإسلامية» (٢/ ١٦).

بيد أن هذا النصر وذلك التأييد من الله لهم لم يكن عن محاباة أو مجاملة، فإنه سبحانه لا يحابي ولا يجامل، وإنما كان بسبب من هؤلاء، لقد تحلى هؤلاء بطائفة من الأخلاق كانت هي السبب في نزول النصر عليهم، والتأييد لهم من ربهم، وتبقى هذه الطائفة من الأخلاق إلى قيام الساعة سببًا في حصول النصر والتأييد من الله شريطة الالتزام والتحلي بها»(١).

وقال الأستاذ **سيد قطب** رَحِمَهُ اللهُ: «هناك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل زمان وفي كل مكان، وأن يقفوا أمامها طويلًا ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها.

لقد خرَّجت هذه الدعوة جيلًا من الناس - جيل الصحابة رضوان الله عليهم - جيلًا مميزًا في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جميعه، ثم لم تعد تُخرِّج هذا الطراز مرة أخرى... نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ، ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة.

هذه ظاهرة واضحة واقعة ذات مدلول ينبغي الوقوف أمامه طويلًا لعلنا نهتدي إلى سره»(٢).

ولا شك في أن رقي الصحابة الإيماني كان ببركة تربية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، وتزكية نفوسهم بالطاعات، وتعويدهم على الخضوع لرب الأرض والسموات، وقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفيض عليهم مما أفاض الله على قلبه من الأحوال الإيمانية والمعارف الربانية.

قال **أبو الحسن الندوي**: «ولم يزل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يربيهم تربية دقيقة عميقة، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم ويزكي جمرة قلوبهم، ولم تزل مجالس الرسول

---

(١) «من أخلاق النصر في جيل الصحابة» [٩-١٠] ط. دار ابن حزم.

(٢) «معالم في الطريق» [١٤] ط. دار الشروق.

صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخًا، في الدين، وعزوفًا عن الشهوات، وتفانيًا في سبيل المرضاة ، وحنينًا إلى الجنة، وحرصًا على العلم، وفقهًا في الدين، ومحاسبة للنفس، يطيعون الرسول في المنشط والمكره، وينفرون في سبيل الله خفافًا وثقالًا، قد خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال سبعًا وعشرين مرة في عشر سنين، وخرجوا بأمره لقتال العدو أكثر من مائة مرة، فهان عليهم التخلي عن الدنيا، وهانت عليهم رزيئة أولادهم في نفوسهم، ونزلت الآيات بكثير مما لم يألفوه ولم يتعودوه، وبكل ما يشق على النفوس إتيانه في المال والنفس والولد والعشيرة، فنشطوا، وخفوا لامتثال أمرها، وانحلت العقدة الكبيرة - عقدة الشرك والكفر - فانحلت العقد كلها، وجاهدهم الرسول صلى الله عليه وسلم جهاده الأول فلم يحتج إلى جهاد مستأنف لكل أمر ونهي، وانتصر الإسلام على الجاهلية في المعركة الأولى، فكان النصر حليفه في كل معركة، وقد دخلوا في السلم كافة بقلوبهم وجوارحهم وأرواحهم كافة، لا يشاقون الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، ولا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى، ولا يكون لهم خيرة من بعد ما أمر أو نهى، حدثوا الرسول صلى الله عليه وسلم عما اختانوا أنفسهم، وعرضوا أجسامهم للعذاب الشديد إذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد نزل تحريم الخمر والكئوس المتدفقة على راحاتهم، فحال أمر الله بينها وبين الشفاة المتلمظة والأكباد المتقدة، وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة.

حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم، بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم، وأنصفوا من أنفسهم إنصافهم من غيرهم، وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة، وفي اليوم رجال الغد، لا تجزعهم مصيبة، ولا تبطرهم نعمة، ولا يشغلهم فقر، ولا يطغيهم غنى، ولا تلهيهم تجارة، ولا تسحقهم قوة، ولا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم، قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ووقاية للعالم، وداعية الى

دين الله، واستخلفهم الرسول ﷺ في عمله، ولحق بالرفيق الأعلى، قرير العين من أمته ورسالته»[١].

فلا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس وإن كان الراجح في قوله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. أنها عامة في أمة محمد ﷺ، إلا أن الصحابة رضي الله عنهم هم خير هذا الخير، فالواجب على الدعاة والمربين أن يدرسوا المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لتبوأ أعلى المنازل، والوصول إلى أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، حتى يجعلوا خصائصهم ومؤهلاتهم نصب أعينهم، وهم يقومون بواجب تربية أجيال الصحوة الإسلامية، فغاية المربين إنشاء جيل على نمط الصحابة رضي الله عنهم في عقيدتهم، وفهمهم للكتاب والسنة، وطاعتهم لله - عَزَّ وَجَلَّ - ولرسوله ﷺ، وزهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة، وبذلهم في الله - عَزَّ وَجَلَّ - طلبًا لمرضاته، ورغبة في إعزاز دينه، ونشر رسالة رسوله ﷺ، وهذه جملة من هذه المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية على سبيل الاختصار لا الحصر.

١ - تعظيمهم لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأمر رسوله ﷺ :

كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأوامر رسوله ﷺ عملًا بقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» (١٢٥-١٢٧) ط. وقفية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]. فهذه زينب بنت جحش رضي الله عنها يخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتاه زيد بن حارثة وحين يفاتحها في ذلك تأبى وتقول: لست بناكحته. فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بل فانكحيه**» قالت: يا رسول الله أؤامر نفسي فبينما هما يتحدثنا إذا بالمولى سبحانه وتعالى ينزل هذه الآية على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فتقول: قد رضيته لي يا رسول الله منكحًا؟ فيقول: «نعم»، فتقول: إذن لا أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي[(١)].

وهذا عقبة بن الحارث يتزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فتأتيه امرأة فتقول: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فيقول لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني ثم يركب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فيسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف وقد قيل؟»: فيفارقها عقبة وتنكح زوجًا غيره[(٢)].

ولما سقط مسطح بن أثاثة مع من سقط في حادثة الإفك، واتهام أم المؤمنين رضى عنها بالزنا من صفوان بن المعطل شق ذلك على أبي بكر وأهله وقال: هذا أمر لم نتهم به في الجاهلية أفبعد إذ أعزنا الله بالإسلام نتهم به؟ وحلف أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا فأنزل الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]

وسمعها أبو بكر فقال: بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا. وعاد له بما كان يصنع[(٣)].

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ٢/ ٩) ط. دار المعرفة بيروت.

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٢٢) العلم: الرحلة في المسألة النازلة.

(٣) رواه البخاري (٨/ ٣٤٦) التفسير: سورة النور مطولًا في قصة الإفك.

ومن ذلك موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم واستجابتهم لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وخروجهم إلى حمراء الأسد الغد من يوم أُحد، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج فخرجوا على ما بهم من جراح وألم، تعظيماً لأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسجل الله - عَزَّ وَجَلَّ - لهم هذا الموقف في كتابه الخالد ونزل قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤].

٢ - صدقهم رضي الله عنهم في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم:

وقد وصف الله - عَزَّ وَجَلَّ - المهاجرين الكرام بالصدق، فقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

ونزل فيهم رضي الله عنهم قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أُحد انكشف المسلمون. قال: اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد ابن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف،

أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أمثاله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣][1].

وعن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيًا فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك. قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: إن تصدق الله يصدقك. فلبثوا قليلًا ثم نهضوا في قتال العدو فَأُتِيَ به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه السهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه».

ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «اللَّهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجرًا فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك»[2].

٣ - زهدهم في الدنيا ورغبتهم في الآخرة:

والزهد هو الرغبة عن الشيء لاستقلاله واستحقاره والرغبة فيما هو خير منه، وإنما ينشأ الزهد لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]، وإنما سبق الصحابة رضي الله عنهم بقوة يقينهم

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٥٤، ٣٥٥) «المغازي»، ومسلم (١٣/ ٤٧ ، ٤٨) «الإمارة»، والترمذي (١٢/ ٨٠ ، ٨١) «عارضة التفسير».

(٢) رواه االنسائي (٤/ ٦٠ ، ٦١) «الجنائز»، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» رقم [١٨٤٥].

بالآخرة الباقية وزهدهم في الدنيا الفانية، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

فكان في التابعين من هو أكثر قيامًا وصيامًا وعبادة من الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الصحابة سبقوا بأحوالهم الإيمانية من الزهد، واليقين، وصدق التوكل على الله - عَزَّ وَجَلَّ -، ولا شك في أن الصحابة رضي الله عنهم تعلموا الزهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، ولا يوقد في بيت من أبياته نار(١).

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً ملبدًا، وإزارًا غليظًا، فقالت: قبض رسول الله في هذين.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ»(٢).

فهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين، وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض.

وعن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فإذا هو مضجع على طنفسة رحله، متوسد الحقيبة. فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل.

وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله(٣).

(١) رواه البخاري (١١/ ٢٨٣) «الرقاق»، ومسلم (٨/ ١٠٧ - ١٠٨) «الزهد».

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٨٢) «الرقاق»، ومسلم (١٤/ ٥٧) «اللباس».

(٣) «حلية الأولياء» (١/ ١٠١).

٤ - شجاعتهم النادرة واستهانتهم بالحياة الدنيا:

قال أبو الحسن الندوي: ولقد بعث الإيمان في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة، وحنينًا غريبًا إلى الجنة، واستهانة نادرة بالحياة، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأي العين، فطاروا إليها طيران حمام الزاجل لا يلوي على شيء(١).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض؟» قال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟

قال: نعم. قال: بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يحملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل(٢).

وعن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم.

فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام. ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل(٣).

وفي يوم اليمامة أغلقت بنو حنيفة أنصار مسيلمة الكذاب الباب عليهم وأحاط بهم الصحابة فقال البراء بن مالك يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة، فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم

---

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٥].

(٢) رواه مسلم (١٣/ ٦٨-٦٩) «الإمارة».

(٣) رواه مسلم (١٣/ ٦٩-٧٠) «الإمارة».

دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة حتى خلصوا إلى مسيلمة - لعنه الله -.

قال الذهبي: بلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم، ويلقوه في الحديقة، فاقتحم عليهم وشد عليهم وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهرًا يداوي جرحه[(١)].

٥- قطع حبال الجاهلية وموالاة الله - عز وجل - ورسوله ﷺ والمؤمنين:

قال الدكتور السيد محمد نوح: وكان الواحد من الصحابة بمجرد أن يدخل في الإسلام يجتهد كل الاجتهاد أن يقطع حبال الجاهلية، وأن يخلع على باب هذا الدين كُلَّ ماضيه، بما فيه من سوءات وظلمات، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢][(٢)].

هذا عبد الله بن أبي بن سلول يبلغه أن رسول الله ﷺ يمر بأبيه وهو في ظل أطم فيقول: غبر علينا ابن أبي كبشة، فيأتي النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت أتيتك برأسه فيرد عليه النبي ﷺ قائلًا: «لا، ولكن بر أباك، وأحسن صحبته»[(٣)].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٩٦).

(٢) «من أخلاق النصر في جيل الصحابة» [٥٢].

(٣) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٠٨)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات والأطم المكان المرتفع.

وهذا حنظلة بن أبي عامر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما آذى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فينهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك(١).

وكان أبو عزيز بن عمير بن هشام أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى (يوم بدر) قال أبو عزيز: مر بي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شد يدك به إن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أعلى ما فدى به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها(٢).

وقتل أبو عبيدة بن الجراح يوم بدر أباه، حيث تعرض له أبوه يريد أن يقتله ويتحاشاه أبو عبيدة، فلما أصر أبوه على قتله تمكن منه أبو عبيدة فقتله.

٦- استهانتهم بزخارف الدنيا وزينتها الجوفاء:

وقد بين الله – عَزَّ وَجَلَّ – أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخرفها، فقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[الزخرف: ٣٣-٣٥].

(١) ذكره الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٦٠) وقال رواه ابن شاهين بإسناد حسن.

(٢) باختصار من «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٥٤) ط. الكليات الأزهرية.

وقال النبي ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»(١).

فعلم الصحابة رضي الله عنهم حقارة الدنيا، وزيف زخارفها فاستهانوا بها فلم تبهرهم الأضواء، ولم تشغلهم الشهوات.

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولاً إلى رستم قائد الجيوش الفارسية، وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل عليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقال له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام(٢).

٧- حرصهم على الاجتماع والوحدة ونبذ الخلاف:

كان الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولا شك في أن من أسباب النصر والرفعة والعزة الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) رواه الترمذي (٩/ ١٩٨) «الزهد»، وقال: هذا حديث صحيح غريب وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦)، من طريق آخر وقال: صحيح الإسناد ورده الذهبي بقوله: (زكريا ضعفوه).
قال: الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه.
انظر: «الصحيحة» رقم [٩٤٣].

(٢) قصة ربعي بن عامر رواها الطبري في «تاريخه» (٣/ ٥٢٠) ط. دار المعارف.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أخرج عبد الرزاق في «المصنف» من حديث قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان صدرا من خلافته كانوا يصلون بمكة ومنى ركعتين، ثم إن عثمان صلاها أربعًا، فبلغ ذلك ابن مسعود فاسترجع، ثم قام فصلى أربعًا، فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعًا؟ قال: الخلاف شر[1].

وأخرج أحمد في «المسند» عن رجل قال: كنا قد حملنا لأبي ذر رضي الله عنه شيئًا نريد أن نعطيه إياه، فأتينا الربذة، فسألنا عنه فلم نجده، قيل: استأذن في الحج فأذن له، فأتيناه بالبلدة وهي منى فبينما نحن عنده إذ قيل له إن عثمان صلى أربعًا، فاشتد ذلك عليه، وقال قولًا شديدًا، وقال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين، وصليت مع أبي بكر وعمر، ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلى أربعًا، فقيل: عبت على أمير المؤمنين شيئًا ثم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فقال: «إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام..» الحديث[2].

ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف، حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي، وسأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن السنة والبدعة وعن الجماعة والفرقة.

فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صلى الله عليه وسلم والبدعة ما فارقها والجماعة - والله - مجامعة أهل الحق والفرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا.

---

(١) رواه أبو داود [١٩٤٤] «عون المناسك»، وصححه الألباني «صحيح سنن أبي داود» رقم [١٧٢٦].

(٢) رواه أحمد (٥/ ٦٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢١٦) وعزاه إلى أحمد وقال فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات.

٨- مسارعتهم رضي الله عنهم إلى التوبة والإنابة إن بدرت منهم معصية:

قال أبو الحسن الندوي: وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية، وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة، وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين، ولا تتناوله يد القانون، تحول هذا الإيمان نفسًا لَوَّامَةً عنيفة، ووغزًا لاذعًا للضمير، وخيالًا مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون، ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة[(١)].

كما في قصة ماعز الذي أقر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه بالزنا فأمر بإقامة الحد عليه، ثم أتت الغامدية تقر على نفسها كذلك.

وربط أبو لبابة بن عبد المنذر نفسه في سارية من سواري المسجد، لما أحس بأنه قد خان الله – عَزَّ وَجَلَّ – ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت براءته.

وكذا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزة تبوك بغير عذر، فاعترفوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما تعللوا بالأباطيل والكذب كما فعل المنافقون، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعتهم حتى مر عليهم خمسون ليلة، ثم نزلت براءتهم من السماء، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أسرع الناس إلى التوبة والإنابة والاعتراف بالذنب، كما أنهم دائمًا أسرع الناس إلى الخير فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين.

٩- تكافلهم فيما بينهم ومواساتهم لإخوانهم:

كان الصحابة رضي الله عنهم بينهم من التكافل والتناصر والمواساة ما يضرب به المثل امتثالًا لقول الله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٠، ١٣١].

وقد مدح الله – عَزَّ وَجَلَّ – الأنصار الكرام بقوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك[(١)].

وعن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف إني أكثر الأنصار مالًا فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو يومًا وبه أثر صفرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مهيم؟» قال: تزوجت. قال: «كم سقت إليها؟» قال: نواه من ذهب أو وزن نواة من ذهب.. شك إبراهيم[(٢)].

وهذا صحابي آخر آثر ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعامه وطعام أولاده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته.

(١) رواه البخاري (٧/ ٣١٧) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٤٠) «مناقب الأنصار».

فجعلا يريناه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾» [الحشر: ٩][(١)].

وهذا أبو بكر الصديق يتزوج أسماء بنت عميس ليقوم على أمرها وأمر صغارها بعد مقتل جعفر بن أبي طالب الطيار في سرية مؤتة.

وهذا عبد الرحمن بن عوف يتزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط التي هاجرت من مكة وحدها سرًا، ليقوم عليها فلا تضيع ولا تفتن.

١٠- اتهامهم أنفسهم دائمًا بالتقصير:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يدخل عليه عمر يومًا وهو يجبذ لسانه، فيقول له: مه غفر الله لك، فيرد عليه أبو بكر قائلًا: إن هذا أوردني شر الموارد.

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طُعن كان ولده عبد الله يضع رأسه في حجره فإذا أفاق قال لابنه: ضعه لا أم لك، ويلي، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي.

وهذا عمران بن حصين يدخل عليه بعض أصحابه، وكان قد ابتلي في جسده، فيقول له نفر منهم: إنا لنبأس لك لما نرى فيك. قال: فلا تبتأس بما ترى، فإن ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذا أبو الدرداء يصيبه المرض ويدخل عليه أصحابه ليعودوه ويقولوا له: أي شيء تشتكي؟ فيقول: ذنوبي، فيقولون: أي شيء تشتهي فيقول: الجنة[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٤٩) «مناقب الأنصار».

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٩) «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٨).

وهذه أسماء بنت أبي بكر كانت تصدع فتضع يدها على رأسها، وتقول: بذنبي وما يغفره الله أكثر.

١١- أنفتهم واستعلاء الإيمان في قلوبهم:

قال أبو الحسن الندوي: وكأن هذا الإيمان بالله رفع رأسهم عاليًا، وأقام صفحة عنقهم فلن تَنْحَنِيَ لغير الله أبدًا، لا لملك جبار ولا لحبر من الأحبار، ولا لرئيس ديني ولا دنيوي، وملأ قلوبهم وعيونهم بكبرياء الله تعالى وعظمته، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة والفخفخة، فإذا نظروا إلى الملوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف وزينة فكأنهم ينظرون إلى صور ودمى قد كسيت ملابس الإنسان.

عن أبي موسى قال: انتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو عن يمينه وعمارة عن يساره، والقسيسون جلوس سِماطَين وقد قال له عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان أن اسجدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلا لله(١).

١٢- تزكية نفوسهم بالعبادات:

ووعى الصحابة أيضًا ما قرره القرآن الكريم وطبقه الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وسلم عمليًا من أن تطهير وتزكية النفس هما أساس التغيير المنشود، وأساس النجاح والنصر المنشود في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة.

إذ يقول - عَزَّ وَجَلَّ - في كتابه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩]، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

وإذ يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوم من الليل حتى تورمت قدماه من طول القيام وكان يقول: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٢).

---

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [١٣٣].

(٢) رواه النسائي (٧/ ٦١) «عشرة النساء»، وأحمد (٣/ ١٢٨،١٩٩،٢٨٥).

وعى الصحابة - رضوان الله عليهم - جميعًا ذلك كله فعملوا جاهدين على تمثله في أنفسهم بحيث صار واقعًا حيًّا ملموسًا يتحرك في دنيا الناس، وتتحدث عنه كتب التراجم والسير والتواريخ، وتتناقله الأعداء في مجالسهم الخاصة والعامة وفي كتبهم.

هذا عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: «الصلاة»، ويتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه:١٣٢].

وعن نافع قال: كان ابن عمر يحيى الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يختم القرآن في ثلاث، وواظب على ذلك وهو طاعن في السن، حتى أدركته الوفاة.

١٣-ثباتهم أمام المطامع والشهوات:

لا شك في أن قوة الإيمان في قلب العبد تجعله يترفع عن شهوات الدنيا وأغراضها الدنية، فيصون العرض، ويؤدي الأمانة، ويعف عن الغلول.

قال الطبري في «تاريخه»: لما هبط المسلمون المدائن، وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال والذين معه: ما رأينا مثل هذا قط، وما يعدله ما عندنا ولا يقاربه، فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم لتقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فاتبعوه رجلًا حتى انتهى إلى أصحابه فسألهم عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس[1].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٩) ط. دار المعارف.

١٤- حرصهم على الأخذ بأسباب القوة:

عملًا بقول الله - عزَّ وَجلَّ -: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنْ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنْ الضَّعِيف»[(١)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ارمُوا بَنُو اِسْمَاعِيل فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا»[(٢)].

وصارع النبي صلى الله عليه وسلم ركانة، وكان ركانة من أشد الناس لا يصرع، وسابق بين الخيل.[(٣)].

وكانت العضباء - ناقة النبي صلى الله عليه وسلم - لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابقها فسبقها الأعرابي، وكان ذلك شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «حَق عَلَى الله أَلّا يَرْفَعْ شَيْءٍ فِي الدُنْيَا إِلّا وَضَعَهُ»[(٤)].

يقول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدًا، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة؟ هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، فقلت: أما تكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول صلى الله عليه وسلم: قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذرني فلأسابق الرجل. قال: «إِنْ شِئْت» فَسَبَقْتُهُ إِلَى المَدِينة[(٥)].

وهذا سعد بن أبي وقاص كان يقول لبنيه: أي بني تعلموا الرماية فإنها خير لعبكم.

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٢١٥) «القدر»، وابن ماجه [٦٤] «المقدمة».

(٢) رواه البخاري (٦/ ١٠٦) «الجهاد»، وأحمد (٤/ ٥٠).

(٣) رواه أبو داود [٤٠٦٠عون] «اللباس»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٨)..

(٤) رواه البخاري (٦/ ٨٦) «الجهاد والسير».

(٥) رواه أحمد (٦/ ٣٩،٢٦٤)، وأبو داود [٢٥٦١] «الجهاد»، وصححه الألباني.

وكان عقبة بن عامر يختلف بين الغرضين وهو شيخ كبير فقيل له: تفعل هذا وأنت شيخ كبير يشق عليك؟ فقال: من تعلم الرمي ثم تركه فليس مِنَّا، وفي رواية: فقد عصى(١).

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن علم غلمانك العوم ومقاتلتكم الرمي.

فكانوا يختلفون في الأغراض، فجاء سهم غرب فقتل غلامًا وهو في حجر خال له لا يعلم له أهل، فكتب أبو عبيدة إلى عمر: إلى من أدفع عقله؟ فكتب إليه عمر: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إِنّ الله وَرَسُولَهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ، والْخَال وَارِث مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ»(٢).

١٥- استنصارهم بالله - عَزَّ وَجَلَّ - وطلبهم العزة بما أعزهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - به:

فقد كان من هدي الصحابة الكرام أنهم يطلبون النصر من الله – عَزَّ وَجَلَّ – عملًا بقول الله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[الأنفال: ١٠]

أخرج ابن عبد الحكم عن زيد بن أسلم قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه:

«أما بعد: لقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلا لما أخذتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل

(١) رواه مسلم (١٣/ ٩٦) «الإمارة».

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٦)، وصححه أحمد شاكر [٣٢٣]، ورواه البيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٤).

على ما أعرف، إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، وأمر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة، ووقت الإجابة وليعج[1] الناس إلى الله، وليسألوه النصر على عدوهم».

فلما أتى عمروًا الكتاب، جمع الناس، وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين، ثم يرغبون إلى الله ويسألونه النصر ففتح الله عليهم.

وعن عياض الأشجعي قال: شهدت اليرموك وعليها خمسة أمراء: أبا عبيدة ويزيد ابن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وخالد بن الوليد وعياض رضي الله عنهم، وليس عياض هذا الذي حدث - فقال: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه: أنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحضر جندًا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، فاستنصروه، فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم.

وكانوا رضي الله عنهم يطلبون العزة بما أعزهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - به من الإيمان والعمل بالإسلام، وطاعة النبي عليه الصلاة والسلام.

عن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة.

فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك

(١) أي: يرفعون أصواتهم.

وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أواه لو قال ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله(١).

١٦- ثقتهم بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ -:

قال الشيخ **محمد الغزالي** رحمه الله: «كان رسول الله ﷺ يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أملٍ رحيب في انتصار الإسلام وانتشار مبادئه وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب وقد اتخذ المستهزءون من هذه الثقة مادة لسخريتهم وضحكهم، كان الأسود بن عبد المطلب وجلساؤه إذا رأو أصحاب النبي ﷺ يتغامزون بهم، ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، الذين سيغلبون غدًا على ملك كسرى وقيصر، ثم يصفرون ويصفقون(٢).

ولقد كانت الآيات القرآنية تنزل بمكة تبشر بانتصار الإسلام، والصحابة رضي الله عنهم يعذبون في ربوع مكة، فنزل قول الله - عَزَّ وَجَلَّ - في سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١-٥].

وكانت تبشر الآيات كذلك بهزيمة المشركين وانكسار شوكتهم فنزل قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

وهزمت جموع المشركين في أول لقاء بين الكفر والإيمان، في يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، كما بشر الله - عَزَّ وَجَلَّ - وبشر رسول ﷺ بانتصار الإيمان وغلبة جند الرحمن في كل زمان ومكان، فقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٦١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) «فقه السيرة» للغزالي [١١٣].

[الروم: ٤٧].

وَقَال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ».

فكان من ثقة الصحابة الكرام بنصر الله - عَزَّ وَجَلَّ - يتهمهم المنافقون بالغرور كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول للروم وقد تحصنوا بالحصون: أيها الروم انزلوا إلينا فوالله لو كنتم معلقين بالسحاب، لرفعنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا.

ووقف الفارس المسلم على شاطئ الأطلنطي وقال: والله يا بحر لو أعلم أن وراءك أرضًا تفتح في سبيل الله لخضتك بفرسي هذا.

(١) رواه مسلم (١٦/ ١٣)، «الفتن وأشراط الساعة»، والترمذي (٩/ ٢٢)، «الفتن»، وأبو داود (٤٢٣٢) «الفتن والملاحم».